# خطبة الجمعة

## التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

## الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

## بتاريخ ٢٠٢٥/٠٣/٠٧

## في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يوْم الدِّين * إيَّاكَ نعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صرَاط الَّذينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة ١٨٧)

مع بداية رمضان، يتولد الشعور في القلب فورًا بأن نهتم بأداء الصلوات لأنه شهر البركات. في هذا الشهر تُستجاب الدعوات، لذلك يتوجه الناس عمومًا إلى المساجد أكثر، فيزداد الحضور في المساجد، سواء في صلاة الفجر أو العشاء. في الأيام العادية، لا يكون الحضور في صلاة الفجر والمغرب والعشاء كما يكون في رمضان. ومن فضل الله تعالى أنه في هذه الأيام على الأقل يتولد في قلوب الناس الإحساس بأن يتوجهوا إلى المسجد ويسألوا الله سبحانه وتعالى فضله.

وسبب ذلك أن الله سبحانه وتعالى يقول إنني أُوصد أبواب جهنم في أيام رمضان وأصفِّد الشيطان وأفتح أبواب الجنة. ومن هنا يظن الناس أنهم ربما بحاجة إلى العبادة في رمضان فقط، وأن الدعوات أو العبادات التي تؤدى في رمضان ستتسبب وحدها في مغفرتنا. وهذا الحديث يُذكر في الفضائيات الإسلامية غير الأحمدية في شتى البلاد مرارًا وتكرارًا، مع أن هذا تفكير خاطئ. إنما وجّه الله تعالى انتباهنا إلى العبادات في رمضان لكي نجعلها جزءًا من حياتنا. وإن لم نفعل ذلك فإن عبادات رمضان وحدها لن تنفع شيئًا. بل سيقول الله تعالى: لقد عبدتم شهرًا واحدًا فقط، ماذا فعلتم في الأشهر الأحد عشر الأخرى؟ لذا ينبغي أن ينبذ الإنسان هذا الفهم الخاطئ من قلبه، وهو أنه يكفي أداء الصلوات وعمارة المساجد في رمضان فقط. لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه". هذا بالتأكيد ما قاله.

فالذين يسعون لجعل هذه الحسنات جزءا لا يتجزأ من حياتهم ويهتمون بالصلاة والنوافل، ويداومون على العبادة هم يهتمون بها في رمضان أكثر، لكن البعض يظنون أن قيام الليل في رمضان فقط يكفيهم.

إن الإنسان خَطّاء لكن الله رحمن ورحيم وغفار، فقد هيأ لنا هذه الفرصة أنه إذا كنتم قد ارتكبتم أخطاء خلال السنة ففي رمضان اعقدوا العزم من جديد على أنكم ستؤدون حق عبادة الله في المستقبل وتحرزون جميع الصالحات التي أمرنا الله بها، ثم تسعون للثبات على هذا العزم.

لذلك يجب على المسلم أن يتذكر بوجه خاص أن الله ﷻ أمره بالعبادة في رمضان لعله يَرشد ويهتدي، ومعلوم أن الرشد لا يتحقق لشهر واحد فقط بل يجب تنميته باستمرار، فقد قال الله ﷻ إنه يعيد رمضان مرارا تذكيرا بهذا الأمر وإظهارا لرحمانيته، لكي يتذكر الإنسان الغافل الناسي فرائضه من جديد، فيتذكر حقوق الله وحقوق العباد أيضا، فينظر كيف يمكنه أن يؤدي حقوق الله وحقوق العباد ويستطيع أن ينجز ما أمره الله ﷻ.

فحين قال الله تعالى ﴿سَأَلَكَ عِبَادِي﴾ فالمراد منهم عُشّاق الله. فلا يصح من العاشق ألا يُظهر عشقه أحد عشر شهراً من السنة ويكتفي بإظهاره شهراً واحداً فقط. فمهمة عاشق الله وعبده، هي أن يسعى باستمرار للقيام بما أمر الله تعالى به. وإذا كان هناك تقصير في الأشهر الأحد عشر، فعليه أن يبذل جهداً خاصاً واهتماماً خاصاً في هذه الأيام حتى لا تتكرر هذه التقصيرات من جديد. فالعشاق الصادقون يطيعون كل ما يقوله محبوبُهم.

إن الأحباء الماديين يكمن فيهم كثير من النقائص، ومن المحتمل أن يصيب العاشقَ ضررٌ منهم، أو هم على الأقل أحيانا لا ينفعون، أما الله ﷻ فهو دائم الخير والنفع، فهو مصدر كل خير، وهو ينقذ من كل سوء وينجي من كل ألم، فهو يقول اسألوني، وادعوني أستجب لكم، والعاشق الصادق يسأل الله قربه. فعلينا أن نسعى لنطلب منه قربه، ولا ندعو الله ﷻ في عبادات رمضان من أجل مصالحنا المادية فقط بل يجب أن ندعو حبيبنا ﷻ أن يرزقنا قربه، ينبغي أن ندعوه أن يقربنا إليه ويوفقنا للدعوات المجابة، ويهب لنا لقاءه، ويتقبل صيامنا، وإذا تحقق ذلك فلن تصدر منا أي سيئة حتى بعد رمضان أيضا بل سنوفَّق لإحراز الحسنات أيضا بانتظام. لقد لفت الله تعالى الانتباه مراراً وتكراراً في القرآن الكريم إلى ما هي حقوق الله وما هي حقوق العباد، فاسعوا لأن تؤدوها. فقد قال سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام أن هناك سبعمائة أمر في القرآن الكريم، وقد وُجه الاهتمام إلى تلاوة القرآن الكريم في رمضان بشكل خاص. وعندما سنقرأه، سنبحث أيضاً عن تلك الأوامر التي أعطانا إياها الله تعالى. بل في مكان ما ذكر المسيح الموعود ؑ أن في القرآن أكثر من سبعمائة من الأوامر. فعندما نبحث عن هذه الأوامر، سنحاول العمل بها، وهذا هو عمل العاشق الصادق، أن يبذل كل جهد ممكن ليستجيب لحبيبه. لأن الله تعالى يقول: قل لعبادي أن يؤمنوا بي لكي يرشدوا. والإيمان الكامل هو أن يطاع اللهُ ورسولُه بصدق. ثم إن الله تعالى قال إن الإيمان والأعمال الصالحة هي أشياء تسير جنباً إلى جنب. لذلك ورد في هذه الآية أيضاً أن عليهم طاعة ما أقول لهم وهو أن يؤدوا الأعمال الصالحة،

ويَثبتوا على الحسنات. وليدعوا أثناء العبادة، ويقول الله تعالى: سأصبح وليكم، كما قال في مكان آخر: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾. أي أن الله تعالى يكون وليًّا لأولئك الذين يؤمنون، وولاية الله تعالى والإيمان به سيمنحانكم قربَ الله تعالى، ثم سينمو هذا القرب بانتظام، ولن يتوقف عند حد معين. وسوف يسمع الله الدعوات أيضاً.

إذن يجب أن نسعى في رمضان لتحقيق هذا المقام ونفكر أنه إذا تراجعنا عن هذا المقام بعد رمضان و لم نؤدِ حق هذه العبادات كما كنا نؤديها في رمضان، و لم نسعَ للحصول على قرب الله تعالى، فكيف سيكون الله تعالى وليًّا لنا؟ إذ في هذه الحالة لن يكون الله وليا لنا. لقد وضع الله تعالى لإجابة الدعوات أيضاً بعض الشروط. أول ما قاله الله تعالى هو أنه يجب أن نبقى عباداً له، ونكون له وحده، ونعبده حصرا بإخلاص، ونعتبره مصدر كل قوة، وألا نتخذ أشياء مادية آلهة باطلة، ولا نتخذ أناسا عاديين لا شعورياً آلهة لنيل أهدافنا. فهو شرك.

قبل أيام جاء فريق "الحماية الخاصة" في ألمانيا فسألوني أثناء اللقاء كيف يمكنهم إرضاء فلان وفلان من المسؤولين؟ فقلت لهم: أنجزوا كل عمل لكم لإرضاء الله تعالى، وإذا عملتم لإرضاء الله تعالى، فإن الله تعالى نفسه سيوجه انتباه مسؤوليكم نحوكم، وسيسعون لتحسين أوضاعكم، وسيعاملونكم برحمة ولطف، لكن أهم شيء هو أن تسألوا الله رحمته ولطفه وأن تسعوا للعمل بأوامره.

إننا نضرب حضرة شودري ظفر الله خان مثلا، كيف أنه أظهر عدم الارتياح ذات مرة في بلاط الملكة. إذ كان جالساً عندها وبدأ ينظر إلى ساعته مراراً وتكراراً. عندما سأله المسؤولون عن السبب، قال: "إن وقت عبادتي وشيك. هذا أمر من الله تعالى يجب عليّ تنفيذه. فأنا أخشى أن يضيع هذا الوقت فتفوتني الصلاة"، فدبَّروا له ذلك. هذه الشجاعة التي يقتضيها الإيمان يجب أن تكون لدى كل أحمدي. نحن نقدم هذه الأمثلة وعلينا أن نتبنى أيضا هذه النماذج.

لقد قال النبي ﷺ أمورا لا تحصى لتوجيه اهتمامنا إلى الخير. هناك أحاديث كثيرة، وسيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام الذي أدى حق كونه خادما مخلصا له ﷺ في هذا العصر، قد وجه انتباهنا إلى الأعمال الصالحة. فقد طلب في معظم شروط البيعة الاهتمام بأداء حقوق الله وحقوق العباد.

فهذه هي الأمور التي يجب أن نوليها اهتمامنا، وعندما نفعل ذلك، سيصبح الله تعالى ولينا وصديقنا، وسيستجيب لأدعيتنا أيضًا.

قال النبي ﷺ: إن الله تعالى يستجيب لدعاء أولئك الذين لا يظهرون نفاد الصبر ولا يقولون: "لقد دعوت كثيرًا والله لا يستجيب لي". هذا كفر وكلام يبعد عن الإيمان. يجب على المؤمن أن يتجنب ذلك دائمًا.

فهذه هي الأمور التي تحتاج إلى اهتمام. بعض الناس يكتبون لي أيضًا أنهم قد دعوا كثيرًا. أولًا، لم يدعوا للتقرب إلى الله تعالى، بل دعوا لأغراضهم الدنيوية، ودعوا فقط عندما واجهتهم مشاكل دنيوية. وعندما نقترب من الله تعالى فقط لحل المشاكل الدنيوية، فلماذا سيستمع الله تعالى لمثل هذه الأمور؟

الصديق يؤدي حق الصداقة عندما يحافظ صديقه على الصداقة في الظروف العادية أيضًا. فعندما تؤدون حق الصداقة في الظروف العادية، وتستمعون إلى كلامه، وتطيعون أمره، عندها سيستمع هو أيضًا إلى كلامكم.

لذلك يجب أن نتذكر دائمًا ألا نذهب إلى الله تعالى من أجل أغراضنا وأمورنا الدنيوية فقط، بل يجب أن نسعى للذهاب إلى الله تعالى من أجل التقرب إليه. وعندما نفعل ذلك، فإن الله تعالى سيستجيب لدعائنا ويستمع إليه ويرد عليه، لأنه قال بنفسه إنني أستجيب لعبادي.

يقول حضرة المسيح الموعود عليه السلام:

إنه مثل التعامل بين صديقين، أحيانًا يقبل الصديق برأي صديقه، وأحيانًا يجعل صديقه يقبل برأيه. هكذا يتعامل الله، ولكن ظاهريًا عندما يرفض الله دعاء المؤمن، فإنه في الحقيقة يفعل ذلك لمصلحته. هذا مفهوم ما قاله المسيح الموعود عليه السلام، لأن القول بأنني دعوت الله، أولاً هذا يعني أن الدعاء كان فقط عندما كانت هناك أهداف دنيوية. لم يدعُ الداعي من أجل الدين وتحسينه والتقدم فيه وللتقرب إلى الله تعالى. ثم، المؤمن أيضًا لا تُستجاب بعض دعواته أحيانًا، فقال حضرته عليه السلام بأن هذه مسألة صداقة، أحيانًا يقبل وأحيانًا لا يقبل، وفيما لا يقبله أيضًا يضع الله تعالى وسائل لتحسين حال صديقه. هناك أمور لا يقبلها الله ولكنه يعوِّض عنها بإعطاء الأجر بطرق أخرى.

يقول حضرة المسيح الموعود عليه السلام في أحد المواضع:

أي عندما يسأل عبادي عني ما الدليل على وجود الله، فالجواب هو أنني قريب جدًّا، أي لا حاجة لأدلة كبيرة، يمكن فهم وجودي بطريق أقرب. ويتولد الدليل على وجودي بسهولة بالغة. قال: والدليل هو أنني عندما يدعوني أي داعٍ، فإنني أسمعه وأبشره بالنجاح من خلال وحيي، مما لا يؤدي إلى اليقين بوجودي فقط ولكن أيضًا يصل إلى درجة اليقين بقدرتي. إذا كان الله يسمع فهو يجيب أيضًا.

إن فريق مجلة "مقارنة الأديان" يعقدون "قمة الإله" منذ سنوات عديدة، وعقدوها في أوقات مختلفة، وفي هذا العام أيضًا، ويروي الناس فيها قصص استجابة دعواتهم ويسردون أحداثا أنه كيف تقبل الله تعالى دعواتهم وكيف تولد لديهم الإيمان بوجود الله تعالى بسبب استجابة هذه الدعوات، ولكن الشرط هو أن على الناس أن يخلقوا حالة من التقوى والخشية من الله حتى يسمع دعاءهم. يقول الله

تعالى: يجب أن تخلقوا حالة التقوى والخشية لكي أسمع دعاءكم. يقول حضرته: إن الله تعالى يقول أوجدوا حالة التقوى وخشيته، عندها سأسمع وليس من دون ذلك. الآن، لا بد من خلق هذه الحالة من خشية الله والتقوى حتى يسمع الله تعالى الدعاء.

ثم قال حضرته عليه السلام في شرح هذه الآية ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾: وقبل نيلهم المعرفة الكاملة، يجب أن يقرّوا بأن الله موجود ويملك كل القوى والقدرات، لأن من يؤمن يُمنح العرفان. وقد قال الله تعالى في هذه الآية: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾، أي أن يلبوا دعوتي ويؤمنوا بي. يقول الله تعالى هذا لعباده، يخاطب عباده، الذين هم المؤمنون الحقيقيون والعباد الحقيقيون. وأحيانًا، كما قلتُ سابقًا، تحدث حالة من الضعف، فعليهم أن يقوّوا إيمانهم بالتقرب إلى الله تعالى. وعندما تحدث هذه الحالة يستمر الإيمان به في النمو، لأن الله تعالى يملك جميع القدرات، فعندما يرى أن عبده يحاول الاقتراب منه، سيزيده إيمانا. قال عليه السلام: ثم يُمنح العبد العرفان، حينها سيبلغ حالة يسمع الله تعالى فيها دعواته، وسيدرك هو أيضًا حقيقة الله تعالى. وإذا لم يستجب الله لبعض دعواته، فسيمنح قلبه سكينة تجعله لا يفكر بأن الله تعالى لم يسمع دعاءه، بل سيعتقد أن الله تعالى سيلبّي احتياجاته بطريقة أخرى.

قال عليه السلام أيضًا: إن تقوى الله تعني أن تؤدي حقوق الله تعالى وحقوق عباده. هذه هي تقوى الله. ثم يقول الله تعالى إنه سيستجيب لدعائكم. وينبغي للإنسان أن يستمر في النمو في الإيمان واليقين. سينشأ فيه العرفان ثم يستمر في النمو في العرفان، وتنشأ المعرفة التامة.

ثم ما جاء في القرآن الكريم ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، أي الإيمان بالغيب. لقد بين حضرة المسيح الموعود عليه السلام تفسيرًا لطيفًا لهذا. فقال في أحد المواضع: الغيب أيضًا من أسماء الله. وقال: قبل كل دعاء يجب أن يكون هناك يقين بأن الله موجود وأنه يحمل صفات لا حصر لها. يملك كل القدرات والقوى. عندما تتوجهون إلى الله تعالى بهذا اليقين، وتخضعون له وتدعونه، فعندها ستحصلون على المعرفة الكاملة بالله تعالى، وستحصلون على العرفان، وسترون أيضًا علامات استجابة الدعاء.

بفضل الله تعالى، يشهد العديد من الناس ذلك ويروون بعض الوقائع، كما ذكرتُ أن العديد من الناس قد تحدثوا عن تجاربهم في "قمة الله"، ومن خلال هذه التجارب يتقوى إيمانهم. ليس الأمر مجرد قول باللسان بأننا نؤمن إيمانًا كاملًا بذات الله تعالى ولكننا لا نمتثل لأوامره. ونسعى لأداء الصلوات فقط في رمضان بعد غياب سنة كاملة، كما هو حال المساجد المزدحمة هذه الأيام. يجب أن تظل هذه المساجد عامرة دائمًا.

إنه فضل من الله تعالى أن الأحمديين يولون اهتمامًا كبيرًا للصلوات، ولكن الذين لديهم ضعف، يجب عليهم أن ينظروا إلى نقاط ضعفهم وأن يسعوا لجعل رمضان هذا شهرًا يرفع من مستوى

عباداتهم، ويقربهم من الله تعالى، حتى يصبحوا عباداً مخلصين لله، ممتثلين لكلامه، وفي النتيجة يستجيب الله تعالى لدعواتنا.

ثم علينا في رمضان هذا أن نتعهد أننا سنحيي عباداتنا، ولذلك سندعو الله تعالى أن يوفقنا للوفاء بهذا العهد. ثم ينبغي أن نبذل كل جهدنا ونستخدم كل طاقاتنا للوفاء به. فعندما نبذل هذا الجهد ونسخر كل قوانا في هذا الاتجاه، سنصل إلى علاقة قريبة جداًّ مع الله تعالى حيث سيصبح الله تعالى صديقًا لنا كما قال تعالى: إنني أصبح وليًّا لمن يطيع أوامري.

ورد في رواية عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ فُتِحَ لَهُ مِنْكُمْ بَابُ الدُّعَاءِ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ، وَمَا سُئِلَ اللهُ شَيْئًا يَعْنِي أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ الْعَافِيَةَ. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللهِ بِالدُّعَاءِ". (سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله)

الابتلاءات والمشاكل لا تأتي في أيام رمضان فقط، بل تأتي في أوقات مختلفة. فالله تعالى يقول لا تدعوا فقط في تلك الأيام، ولا تدعوا فقط عندما تحتاجون لدفع البلاء، بل قال النبي ﷺ إن الدعاء يحمي أيضًا من المشاكل التي لم تأت بعد والتي يمكن أن تأتي في أي وقت، لذلك استمروا في الدعاء واستمروا في السعي للالتجاء إلى حماية الله تعالى. الله يحفظكم من المشاكل التي جاءت، ويكرمكم بنعمه، وإذا كانت هناك أي مشكلة قادمة – الله تعالى أعلم – فإن الله تعالى يزيل تلك البلايا والمشاكل ويستمر في نفعكم. عندما تكون هذه هي الحالة، حينها يمكن للإنسان أن يسمى مؤمنًا حقيقيًّا الذي جعله الله تعالى في زمرة المؤمنين. فبحسب قول النبي ﷺ عندما تطلبون من الله تعالى طرق الخير في دعائكم، يهيء لكم وسائل الحماية من الابتلاءات الماضية كما يحميكم من الابتلاءات المستقبلية.

إذن، لفتح أبواب الرحمة هذه، يجب علينا دائمًا أن نُحدث تغييرا في حياتنا حتى تظل علاقتنا مع الله تعالى قائمة، ونسأله ﷻ بركاته وأفضاله في كل الأوقات، سواء في الفرح أو الترح، وفي اليسر أو العسر. يروي أبو هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ". (صحيح البخاري, كتاب الجمعة)

هذا الأمر ليس مشروطا برمضان وحده، بل الحديث يتحدث عن الأيام العادية، ويقول ﷻ: كلما دعاني العبد في ساعات الليل غفرتُ له وأعطيته واستجبت لطلباته. فقد جعل الله تعالى رمضان فرصةً ليتوجه الجميع إلى العبادات. فإذا انتبهتم إليها في هذه الأيام، ستعتادون على الحسنات، وعندما تعتادون عليها خلال شهر، ستسعون جاهدين لجعلها جزءًا دائمًا من حياتكم.

وفي رواية أخرى، قال النبي ﷺ ما معناه: من أراد أن يستجيب الله دعاءه في أوقات الشدة، فعليه أن يكثر الدعاء في أوقات الراحة واليسر، كما سبق ذكره في الأحاديث. هذه أمور مهمة يجب أن نذكرها

دائمًا. يجب أن تكون علاقتنا مع الله تعالى دائمة دون أن نلجأ إليه فقط في الشدائد ونتضرع إليه في الأحزان فقط. يجب أن نسعى لنكون أصدقاء حقيقيين له ﷻ، وأن نجعل الله وليّنا ونكون دائمًا خاضعين على عتباته. وكما قلت من قبل، يجب أن نكون متوجهين إليه ﷻ دائمًا في الأوقات العادية. والحديث المذكور آنفا يؤكد على ألا ندعو الله في الشدة فقط، بل في كل وقت.

وفي رواية أخرى، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "يَقُولُ اللهُ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً". (صحيح البخاري، كتاب التوحيد).

لذا، على كل أحمدي أن يسعى دائمًا لأن تلهج ألسنتنا بذكر الله، وأن تقود كل أفعالنا وأعمالنا إلى الله، وأن تكون كل خطواتنا متوجهة إليه ﷻ، حتى يأتي الله إلينا مهرولا ويحيطنا بلطفه، ويلبي حاجاتنا في أوقات الفرح والترح ، والعسر واليسر، ونبقى دائمًا عبادًا له.

وفي رواية أخرى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "دَعْوَةُ ذِي النُّونِ (يونس ؑ) إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنْ الظَّالِمِينَ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ" . هذه أيضًا من رحمة النبي ﷺ بنا إذ وجهنا إلى هذه الأدعية. مما لا شك فيه أن التقصيرات تصدر من الإنسان ويقصر في أداء حق الله، لكن الله تعالى يظل رحيمًا بنا وقد علّمنا أدعيةً في القرآن الكريم، حيث ذكر الله أدعية الأنبياء لنتعلمها وندعو بها، لأنه سيستجيب لها. لكن الشرط هو أن نؤدي حقوق الله أولًا. فقد أمر الله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾، أي: يجب أن يلتزموا بأوامري ويجدّدوا إيمانهم. فيجب أن نحاسب أنفسنا دائما إلى أي درجة نطيع الله؟ يقول سيدنا المسيح الموعود ؑ موضحا دعاء يونس ؑ الذي ذكرته قبل قليل:

من هذا نتعلم درساً أن الله تعالى يستطيع أن يغير القدر. فكما ذُكر في هذه القصة إن البكاء والتضرع والصدقات يمكن أن ترد حتى حُكم العقوبة كما حدث في قصة قوم يونس ؑ. فعندما تتم الإدانة بتهمة ويصدر حكم العقوبة عندها أيضا يمكن أن يردّها الدعاء.

يقول بعض الناس ، كما قلت سابقاً، إنه ما دام الله قد كتب كذا وكذا في القدر والله تعالى يعلم أن هذا سيحدث، فما حاجتنا إلى الدعاء؟ وما حاجتنا لفعل الحسنات؟

يقول المسيح الموعود ؑ إن الله تعالى قد علّمنا هذا الدعاء، وبذكره لقصة يونس قدم أيضاً دليلاً على أنه يمكن أن يغيّر حكم القدر الذي قدّره من قبل. إذا بكيتم وتضرعتم أمام الله وكانت علاقتكم معه ﷻ صادقة، وإذا بدأتم بفعل الحسنات وتجنب السيئات، وخررتم على عتبة الله تعالى بالأنين

والتضرع، فأستطيع أن أؤكد لكم أن الله يرحم الذين يدعون قبل نزول البلاء ويستغفرون ويتصدقون، وينقذهم من عذابه.

فيقول عليه السلام: إن الله تعالى يرحم في وقت نزول البلايا أيضا لدرجة أنه ينقذكم إذا كانت أدعيتكم في الحقيقة أدعية صادقة ونابعة من أعماق القلب وإذا كان استغفاركم صادقا. فقال عليه السلام: لا تعاملوا كلماتي هذه كأنها مجرد قصة. أقول لكم لوجه الله إنه يجب أن تتأملوا في ظروفكم أنتم، وانصرفوا إلى الدعاء بأنفسكم وادعوا أصدقاءكم أيضاً للانخراط في الدعاء. الاستغفار يعمل كجُنّة مقابل عذاب الله والمصائب الشديدة. (أي إذا استغفرتم فالله تعالى سينقذكم)

أقول: قد وجّهت أنظاركم إلى الدعاء قبل بضعة شهور أيضا ولفت الانتباه إلى الاستغفار. الاستغفار جُنّة كما قلت.

يقول عليه السلام: يقول الله تعالى في القرآن الكريم ﴿مَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. قال الله تعالى بنفسه: لماذا سيعذبكم إذا كنتم تستغفرون. إن الله لا يعذب المستغفرين ولكن يجب أن يكون استغفاراً حقيقياً. لذلك قال الله في الآية المذكورة إذا كنتم تريدون أن تبقوا في أمان من عذاب الله، فأكثروا من الاستغفار. فقد قال الله تعالى في الآية المذكورة آنفا أنه عز وجل ليس بالذي يعذبهم وهم يستغفرون. قال المسيح الموعود عليه السلام شارحا هذا الموضوع:

إن كنتم تريدون أن تجتنبوا عذاب الله فاكثروا من الاستغفار. ففي رواية قال النبي ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ". (سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله)

لذا فالأدعية التي ندعو بها الله تعالى ينبغي أن ندعوها بصدق القلب. علينا أن نطلب المغفرة عن الذنوب والأخطاء الماضية ونطلب من الله تعالى التوفيق للثبات على الحسنات في المستقبل، ثم نسعى للثبات عليها. ينبغي أن نسعى لذلك في رمضان ونستمر بالدعاء ونسعى له بعد رمضان أيضاً، ثم انظروا كيف يأتي الله تعالى إلينا هرولة ويأخذنا في أحضانه.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "كما مُيِّز في كتب الله تعالى بين الإنسان الصالح والإنسان الطالح وحُدِّدت لهما مراتب مختلفة، كذلك هناك فرق في قانون قدرة الله تعالى بين هذين الإنسانين، أحدهما يحسب الله تعالى ينبوع الفيض والبركة ويطلب منه القوة والعون بواسطة الأدعية بالحال والقال (أي باللسان والعمل) والآخر يعتمد على تدبيره وخطته فقط ويعُدّ الدعاء أمراً مضحكاً، فيبقى في حالة الاستكبار والاستغناء عن الله تعالى. الشخص الذي يدعو الله تعالى وقت المصاعب والمصائب ويطلب منه سبحانه وتعالى حل المشكلات، بشرط أن يوصل الدعاء إلى الكمال (هنا وُضع شرط وهو أنه يجب أن يوصل الدعاء إلى الكمال) ينال الاطمئنان والسعادة الحقيقية من الله تعالى. وإذا لم ينل مطلبه على سبيل الافتراض،

يُمنح له نوع آخر من السكينة من عند الله تعالى ولا يبقى محروماً أبداً. وبالإضافة إلى نيله النجاح تتقدم قوته الإيمانية ويزداد يقينه.

الآن، يجب نراجع أنفسنا فإننا نريد نوال أفضال الله تعالى، وقد جعل الله تعالى هذا الفرق بين الصالح والطالح. الصالح يعتبر الله تعالى منبع كل فيض وبركة، ويعلم أن كل بركة تأتي من الله تعالى، فيطلب منه القوة، فهذا هو المؤمن الحقيقي. أما المتكبر فلا يفعل ذلك، بل يظن أنه باستخدام الأسباب الدنيوية سيحصل على الكثير.

إذا كانت هذه هي حالتهم، فإن الله تعالى يبطش بمثل هؤلاء العباد في وقت ما. ورد في إحدى الروايات عن رسول الله ﷺ أنه كلما قام مِنْ مَجْلِسٍ دعا بهذا الدعاء: "اللَّهُمَّ أقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا وَلَا تَجْعَلْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا (أي لا تجعل منتهى علمنا الوصول إلى الدنيا فحسب، وألا تكون أفكارنا وهمومنا مقتصرة على الدنيا فقط، ثم قال:) وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا". (ولا يتعامل معنا بالمرحمة).

فيجب أن نتذكر هذا الدعاء دائمًا. ويا له من دعاء مليء بالحرقة والألم دعا ﷺ به الله تعالى. إنه دعاء جامع أعطانا إياه رسول الله ﷺ. ندعو الله تعالى فيه أن يمتّعنا بكل قوانا وأعضائنا، وعيوننا وآذاننا وأنوفنا وألسنتنا وعقولنا وقلوبنا وبكل شيء لدينا، وأن يصبح كل عضو من أعضائنا شاكرًا لله تعالى، وأن نكون ورثة لنعمه، وأن يحمينا الله من الظالمين.

وفي هذه الأيام، هناك أوضاع صعبة في العالم، في بعض الأماكن مثل باكستان، وفي أماكن أخرى مثل بنغلاديش، وفي دول مثل الجزائر وأخرى في دول إفريقيا، حيث تكون بعض المجموعات السيئة مسيطرة أو تقوم بهجمات، وتخاف الحكومات منها وبالتالي تستسلم لمطالبها. فيجب أن ندعو الله تعالى أن ينقذنا من الظالمين وينتقم منهم، وأن ينصرنا ويساعدنا على أعدائنا.

وعندما ندعو في رمضان بهذه الطريقة، فإن الله تعالى سيحدث ثورة عظيمة، وسنرى أن أي شخص، سواء كان أحد الشيوخ في باكستان أو شخصًا قويًا هناك أو أي شخص قوي في حكومة أخرى، لن يتمكن من إلحاق أي ضرر بنا. وإذا توجهنا إلى الله تعالى مخلصين له، فإن الله تعالى سيساعدنا وسيكون وليًا وصديقًا لنا. يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام:

"والطريق الأقرب للحصول على الفضل هو الدعاء. أما لوازم الدعاء الكامل فهي أن يكون فياضا برقة واضطراب وحرقة (أي يفيض بالتواضع والالتياع والاضطراب، قال حضرته:) إن الدعاء المليء بالتواضع والاضطراب وانكسار القلب يجذب فضل الله ويوصل المرء إلى الغاية المنشودة بعد القبول، لكن المشكلة

أن ذلك أيضا لا يتحقق إلا بفضل الله فحسب. وعلاج ذلك أن يداوم الإنسان على الدعاء وأن لا يمل ولا يسأم مهما فقد التركيز والمتعة، (أي ينبغي أن يستمر بالدعاء حتى ولو لم يجد فيه أية متعة ويقول لله: اللهم ليس لي أحد سواك، وليس لي مكان أتوجه إليه سوى بابك، فلن أتوجه إلى أحد ولا أستطيع ذلك، لذلك فإنني مقيم عندك، ولن يرتاح قلبي ما لم تسمع تضرعاتي. قال حضرته:) بل يجب أن يستمر في الدعاء ولو بالتكلف والتصنع، (وبالتالي سيأتي وقت تنشأ فيه تلك الحالة التي تتحول إلى الدعاء الحقيقي، يقول حضرته:) فللتوفيق للدعاء الحقيقي أيضا ثمة حاجة للدعاء.

كثيرون يدعون ويملّون ويقولون لا يتحقق شيء بالدعاء. إنما أنصحكم أن البركة تكمن في استمرار غربلة هذا "التراب" لأن الجوهرة المطلوبة ستخرج منه. (أي الهدف الذي تريد تحقيقه، واللؤلؤة التي ترغب في الحصول عليها، ستخرج من هذا التراب. يعلم الذين ينقُبون الذهب بالطرق التقليدية، بأنهم يجلسون على ضفاف الأنهار ويستمرون في غربلة التربة بالمناخل، فيغربلون أطنانًا من التراب، وفي النهاية يحصلون على كمية ضئيلة من الذهب، ربما بضع غرامات أو أقل، فيفرحون بذلك مع أنهم قد قضوا أيامًا طويلة في هذا العمل. لذا، إذا بقيتم خاضعين أمام الله تعالى بهذا الطريق فستنالون البركة. قال حضرته:)

لأن الجوهر المقصود يخرج منه فقط، ويأتي يوم يتفق فيه قلبه مع قوله وتنشأ تلقائيا الرقة والتواضع المطلوب للدعاء. (فلا بد من خلق حالة الرقة هذه) فالذي يستيقظ ليلا فمهما كان يعاني من فقدان التركيز والصبر (وحتى ولو صلى سريعًا) لو داوم على الدعاء حتى في هذه الحالة أيضا قائلا: يا إلهي إن قلبي تحت سيطرتك وتصرفك فطهِّره، وسأل الله تعالى البسط في عين حالة القبض فسوف ينبثق البسط من ذلك القبض (وحتى في حالة التشتت وعدم التركيز، إن الله تعالى قادر على أن يخلق في الإنسان حالة من الحضور والتركيز، ويزيل الحواجز التي تحول دون قلبه) وتنشأ الرقة (أي تتغير حالة القبض إلى البسط، ولن تبقى الصلاة في هذه الحالة مجرد حاجة تُلحُّ عليه، بل ستبدأ الدعوات بالخروج من أعماق قلبه تلقائيًا. قال حضرته:) وهذا هو الوقت الذي يسمى بساعة القبول، (فإن بلغتم هذه الحالة فاعلموا أن ساعة قبول الدعاء قد حانت) وسيرى المرء أن الروح تسيل على عتبات الله كالماء، وكأنها قطرة تنحدر من أعلى الأسفل."

لذا، في مثل هذه الحالة عندما يغمر الإنسانَ الشعورُ بالخشوع والرقة، وعندما يستمر في الدعاء بانتظام، فإن الله تعالى يخلق لديه الرقة المطلوبة، وبالتالي تبدأ استجابة الدعوات بالظهور.

ثم يقول حضرته:

"الإله الذي أدعو إليه؛ إلهٌ كريمٌ رحيمٌ حَيِيٌّ صادقٌ ووفيّ، ويرحم المتواضعين. فكونوا من المخلصين الأوفياء، وادعوا بكامل الصدق والوفاء يرحمْكم الله. ابتعِدوا عن شغب الدنيا وضجيجها، ولا تعطوا لخصوماتكم الدنيوية صبغةً دينية. ينبغي أن تقبَلوا الهزيمة من أجل الله حتى ترِثوا فتوحاتٍ كبيرة. (قال حضرته: يجب أن تجنبوا أنفسكم الأمور الصغيرة والدنيوية، وللحصول على قرب الله تعالى يجب أن تبتعدوا عن هذه الأمور، وتولوا اهتمامًا لحقوق العباد، وتهتموا بصلات الرحم، وأن تؤدوا حقوق أصدقائكم، وعندها ستنشأ فيكم الرغبة والاهتمام في أداء حقوق الله تعالى، وبالتالي سترون آيات استجابة الدعوات.)

يقول حضرته: إن النعمة الأولى للدعاء هي أن تغيُّرا طاهرا يحدث في الإنسان،( من الضروري جدًا لقبول الدعاء، أن تحدث تغييرات حقيقية وطاهرة في النفس. ينبغي ألا تكون هذه التغييرات مؤقتة أو مقصورة على شهر رمضان فقط، بل يجب أن تكون تغييرات دائمة ومستمرة، وعندها فقط سيظهر على الإنسان أثر استجابة الدعاء. ثم قال حضرته:) فيُحدِث الله تغييرًا في صفاته أيضا نتيجة التغيُّر المذكور، مع أنه لا تبديل لصفات الله في الواقع، ولكن الذي يُحدِث في نفسه تغييرًا؛ يلاحظ تجلّيًا إلهيًا مختلفا (فلا تتغير صفات الله تعالى، بل إن الله تعالى يُحرِّك صفات الرحمة والفضل وغيرها، ويُفيض بها على الإنسان. قال حضرته:) يلاحظ المرء تجلّيًا إلهيًا مختلفا لا تعرفه الدنيا، (أي عندما تنشأ لدى الإنسان هذه الحالة بحيث يشعر أنه أصبح لله تعالى فيرى) وكأن الله إله آخر مع أنه ليس إلها آخر بل تجليه الجديد يُظهره بصورة جديدة. عندئذ ينجز للشخص الحائز على تغيير بسبب تجليه الخاص أعمالا لا يُنجزها لغيره."

وإن الذين يقولون إن هذا قدرٌ محتوم لا يمكن تغييره فكيف يكون الدعاء مقبولا والحال هذه؟ فليعلموا أن الإنسان إذا دعا بنية صادقة، فإن الله تعالى يقول بأنه يغير القدر أيضا، ويُعدِّل أحكامه، وبالتالي تتحول العاقبة السيئة إلى عاقبة حسنة.

لذلك، يجب أن نولي اهتمامًا كبيرًا للدعاء، وأن نجعل رمضان الجاري شهرًا لقبول الدعوات، وشهرًا لإحداث تغييرات طيبة في أنفسنا، ثم يجب أن يصبح هذا التغيير الطيب جزءًا دائمًا من حياتنا، وعندها سوف ينجينا الله تعالى من الأعداء والمخالفين والظالمين كلهم. وفقنا الله تعالى لجعل رمضان الجاري وسيلة لإحداث تغييرات طيبة ودائمة في حياتنا، وأن تصبح هذه التغييرات جزءًا لا يتجزأ من حياتنا. وفقنا الله تعالى لذلك. آمين.